التلميذ والشيخ الحكيم

الأخ ع. ذو الفقار

رجالٌ في حقيقتهم على مُسْتَوى الأمل

قال التلميذُ لشيخهِ الحكيم :

– ما كان أكبرَ هؤلاءِ الرجالَ في أعيننا أمسِ ، وما أصغرَهم في أعيننا اليوم !

قال الشيخُ الحكيم :

– فإنّ هؤلاء الرجال لم يختلفوا كثيراً في هذا الوقت القصير ؛ ولكنْ نَظَرْتُم إليهم أَمْسِ بعين العاطفة والأمل من بعيد فكانوا كِباراً ، ونظرتُم إليهم اليومَ بعين العقل والواقع من قريب فكانوا صِغاراً ، وصدمتْكُم الحقيقةُ العارية عندما تَجرّدتْ من ثياب العاطفة والأمل والخيال

قال التلميذُ :

– فما أحوجَنا إلى رؤية الحقيقة المجرّدة باستمرار .. وما أشدَّ ارتقابَنا وشوقَنا للرجال الذين يكونون في حقيقتهم وواقعهم كِباراً على مُسْتَوَى الأملِ الذي تَجيشُ به الصدورُ من زمن طويل

وَطِّنْ نفسَك على الصبْر والعَفْو

قال التلميذُ لشيخهِ الحكيم :

– هل كنتَ تتوقّع من هذا الذي كان يرتدي لك ثيابَ الْحَمَل ، ويتقرّبُ إليك تقرُّبَ الوَلِيّ .. أنْ يثبَ عليك وُثوبَ النَّمِر ، ويحاربَك حَرْبَ العدوّ ، عندما بَرَقَتْ له في محاربتك بروقُ المطامع والمكاسب ، ووصلتْه مصلحتُه بمن يحاربونك من أعداء الإسلام ومستغليه ؟

قال الشيخُ الحكيم :

– لم أكنْ أتوقّعُ ولكنّني لم أستغرب .. فهذه طبائعُ الناس وأخلاقُهم إلاّ من عَصَمَ ربُّك

قال التلميذُ :

– فهذه الطباعُ والأخلاقُ إذن هي التي دعت المتنبّي إلى أن يقول :

إنّما أنفُسُ الأَنيسِ[1] سِـــباعٌ يَتَفارَسْـــنَ جَهْرَةً واغْتِيـــالا

وإلى أن يقول :

ومَنْ عَرَفَ الأيّامَ مَعْـــرِفَتي بهـــا وبالنّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ راحِمِ

فليسَ بمرحومٍ إذا ظَفِـــروا بـــه ولا بالرَّدَى الجاري عليهمْ بآثِمِ

قال الشيخُ الحكيم :

– قد يكون ذلك يا بنيّ ؛ ولكنّنا لا يمكن أن ننظر نَظْرَتَه ، ولا أن نقف مَوْقِفَه ، بحال من الأحوال .. فأخلاقُنـــا يجب أن تكون صورةً من إسلامنا لا من مُحيطنا ، ومواقفُنا الباطِنة والظاهِرة يجب أن تصدر عن الإسلام لا عن رُدود الفِعْل ، ولا عن المؤثّرات الخارجيّة المختلفة الأخرى

إنّ مهمّتنا الكبيرة هي أن نزكّيَ أنفسَ الناس ، ونرتقيَ بهم إلى مستوى إسلامهم ، لا أن ننتقم لأنفسنا ، ونَنْتَصِفَ ممّن أساء إلينا .. فَوَطِّنْ نفسك يا بنيّ على الصبرِ الجميل والعَفْوِ الواسع ، واجعلْ أُسْوَتَك في ذلك رسولَ الله ﷺ

(1) الأنيس : الناس